الإمامة والولاية *

السيد عبدالله العلوي

من أهم الفروق بيننا وبين غيرنا قولنا بإمامة أئمة منصوبين من قبل الله عزّ وجلّ وعدم قبول غيرنا بذلك ، بل لعله الفارق الأساسي الذي منه تفرّعت بقية الاختلافات باعتبار أخذنا لأحكامنا عن طريق الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وأخذ الغير لأحكامه من طرق أخرى .

المسألة مفصّلة ومبحوث عنها بتفصيل في كتب ضخمة ، لكنّا نقتصر هنا على شيء موجز نرجو أنْ ينتفع به من أراد الله نفعه .

يقول سبحانه مخاطباً الملائكة) : **إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** . (1) (

ويقول سبحانه مخاطباً داود)عليه السلام) : (**يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ** . (2) (

ويقول سبحانه مخاطباً إبراهيم (عليه السلام) : (**إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً** . (3) (

ويقول سبحانه) :**وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا** . (4) (

لاحظ كلمة الجعل المتكررة في الآيات الكريمة ، فإنّها نص في أنّ الخلافة منصب يجعله الله سبحانه لمَن يشاء مِن خلقه ، وأنّ الإمامة منصب يعطيه الله تعالى مَن يراه أهلاً لذلك . فالإمامة والخلافة ليستا مجرّد سيطرة شخص على مقاليد الأمور وجلوسه على الكرسي ثمّ إصدار الأمر والنهي .

إنّهما رتبة مجعولة من الشرع ، وتعني أنّ لصاحب هذه الرتبة ولاية على الناس باعتباره إمامهم ويجب على المأمورين اتّباعه .

لو قال شخص للناس أنا أبوكم ، هل يكون له منصب الأبوّة ورتبتها ، وهل يكون وليّاً كالأب ؟ قطعاً لا ، فالأبوّة واقع حقيقي لا مجرّد ادعاء .

كذلك الإمامة والولاية واقع ، وليستا مجرّد سيطرة شخص ، سواء أكانت سيطرته بالقوّة أو بالانتخاب أو بأيّ شكل آخر .

ومعنى الواقع أنّه حقّاً وليّ بجعل مَن له الجعل وهو الشارع المقدّس ، فيمكنه أنْ يتصرّف في نفوس الناس وأموالهم حسب ما يراه صالحاً ، كل ذلك لأنّه وليّ أمرهم ، أمّا غيره فليس وليّاً ليتصرّف .

يقول سبحانه) :**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ** . (5) (

الخطاب مع المؤمنين ، وهل يصح أنْ يقول : أيّها المؤمنون إنّ المؤمنين أولياؤكم ؟ ثمّ هذه الولاية المجعولة للذين آمنوا مساوقة لولاية الله ورسوله ؛ لأنّها في نفس السياق ، وأيّ مؤمن له هذه الولاية ؟ لابدّ أنّه فرد مخصوص جاءت الآية معيِّنة لهذا الفرد ، أَلاَ وهو ذلك الشخص الذي أقام صلاته وآتى زكاته وهو راكع ، فمَن هو ؟

لم يُدّعَ هذا الأمر إلاّ لأمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وبذلك نطقت روايات الشيعة والسنّة ، لاحظ تفاسير الفريقين .

قد تجد في التفاسير الأخرى مَن يقول : قيل نزلت في فلان وقيل في فلان ، لكنّه مجرّد قيل ، عارٍ عن الدليل ، فما قيمته ، إنّما القيمة للرواية المسندة المُعَنْعَنَة .

ثمّ أي شخص تُدّعى له الولاية . غير أمير المؤمنين . فالادّعاء له مرفوض بالإجماع ، إذ لم تقم له إلاّ حكومة وسيطرة إمّا بالقوّة أو بالانتخاب من الناس ، وهذا ليس ولاية شرعية ، أَلاَ ترى أنّه لو انتخب الناسُ شخصاً ليكون وليّ أمورهم فإنّه لا يكون كذلك حقّاً إلاّ بموافقة الشرع له ؟ لذا يمكنهم ويحقّ لهم عزْله ولو كان وليّاً شرعياً لَمَا صحّ لهم ذلك .

روتْ الصحاح حديث المنزلة وهو نصٌ في إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وإليك الحديث :

(...)حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدّثنا غندر عن شعبة ، ح وحدّثنا محمّد بن المثنّى وابن بشّار ، قالا : حدّثنا محمّد بن جعفر ، حدّثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم ،

سمعت إبراهيم بن سعد عن سعد ، عن النبي (صلّى الله عليه وآله) ، أنّه قال لعلي) : **أَمَا ترضى أنْ تكون منّي بمنزلة هارون من موسى** . (صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة .

44 . كتاب فضائل الصحابة : باب ٤ ، حديث ٣٠ . ٣١ :

30. (٢٤٠٤) : حدّثنا يحيى بن يحيى التميمي وأبو جعفر ، محمّد بن الصباح وعبيد الله القواريري وسريج بن يونس ، كلّهم عن يوسف بن الماجشون (واللفظ لابن الصباح) ، حدّثنا يوسف ، أبو سلمة الماجشون ، حدثنا محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لعلي) : **أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ، إلاّ أنّه لا نبي بعدي** . (

قال سعيد : فأحببت أنْ أُشَافِه بها سَعدَاً ، فلقيت سعداً ، فحدّثته بما حدّثني عامر ، فقال : أنا سمعته فقلت : أأنت سمعتَه ؟ فوضع إصبعَيْه على أُذْنيه فقال : نعم ، وإلاّ فاسْتَكّتا .

31. (...) : وحدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدّثنا غندر عن شعبة ، ح وحدّثنا محمد بن المثنّى وابن بشّار ، قالا : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة عن الحكم ، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، قال : خلّف رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب ، في غزوة تبوك ، فقال) : **يا رسول الله ، تخلّفني في النساء والصبيان ؟** (فقال) : **أَمَا ترضى أنْ تكون منّي بمنزلة هارون من موسى ؟ غير أنّه لا نبيّ بعدي** . (

32. (...) : حدّثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عبّاد (وتقاربا في اللفظ) قالا : حدّثنا حاتم (وهو ابن إسماعيل) عن بكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال : ما منعك أنْ تسبّ أبا التراب ؟ فقال : أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فلنْ أسبّه ، لإنْ تكون لي واحدة منهنّ أحب إليّ من حُمُر النِعَم . سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله (يقول له ، خلّفه في بعض مغازيه ، فقال له علي) : **يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان ؟** (فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : (**أَمَا ترضى أنْ**

تكون منّي بمنزلة هارون من موسى ، إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي (، وسمعته يقول يوم خيبر :)لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله (قال فتطاولنا لها فقال) : ادعوا لي عليّاً (، فأُتِيَ به أرمد ، فبصق في عينه ودفع الرّاية إليه ، ففتح الله عليه ، ولمّا نزلت هذه الآية) : فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ (6) (، دعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال) : اللّهم هؤلاء أهلي . (

ولننظر الآن منزلة هارون من موسى في القرآن الكريم :

يقول تعالى عن لسان موسى) : وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (الخ .

يقول تعالى ردّاً عليه) : قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى . (7) (

إذن جعل الله تعالى هارون وزيراً لموسى ، وشدّ به أزْره ، وأشْركه في أمره ، بالإضافة إلى نبوّته وأُخوّته .

وقد أعطى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بأمر الله عزّ وجلّ . لأنّه)وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى (. أعطى كل هذه المناصب لأمير المؤمنين واستثنى منها النبوّة ، فعلي (عليه السلام) وزير رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأخوه ، وشريكه في أمره ، أُؤكّد على كلمة (وشريكه في أمره) ومعنى الشراكة في الأمر أنّ تبليغ أمر الوحي راجع إليهما ، فهما المبلّغان للدين والوحي ، بمنزلة الشخص الواحد ، وهذا بالضبط ما يعطيه قوله تعالى) : فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ (حيث دعا الرسول) :الزهراء والحسنين وأمير المؤمنين) ، فالأبناء : الحسنان ، والنساء ، الزهراء ، والأنفس : أمير المؤمنين ، ولو لم يكن هو المقصود لكان إخراجه معه بلا مبرّر وبلا تطبيق للآية .

روى أحمد بن حنبل بالسند الصحيح في مسنده قوله (صلّى الله عليه وآله) : (مَن كنتُ مولاه فعليّ مولاه (، ومعلوم أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله)مولى كلّ الخلق ، إذن فأمير المؤمنين مولى كلّ الخلق .

والمفهوم من المولى هنا الولاية والأولوية بهم منهم أنفسهم . وهل يحقّ لأحد أنْ يتقدّم على مولاه ، هل يجوز لأحد أنْ يتقدّم على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، طبعاً لا يجوز . فإذن لا يجوز ذلك بالنسبة لأمير المؤمنين (عليه السلام . (

روى البخاري ومسلم أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : يكون اثنا عشر أميراً كلّهم من قريش وهذا نصّ ما رواياه :

بابٌ :

حدّثني محمّد بن المثنّى حدّثنا غندر حدّثنا شعبة عن عبد الملك سمعتُ جابر بن سمرة قال سمعت النبي (صلّى الله عليه وآله) يقول) : **يكون اثنا عشر أميراً** ، فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي إنّه قال : **كلّهم من قريش** . (هذا ما رواه البخاري كتاب الأحكام : ج١ ، ص١٠١ .

أمّا ما رواه مسلم فهو بعدّة أسانيد هي :

33. كتاب الأمارة : باب١ ، حديث (٤ . ٦ : (

4. (١٨٢٠) : وحدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدّثنا عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه ، قال : قال عبد الله : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : (**لا يزال هذا الأمر في قريش ، ما بقي من الناس اثنان** . (

5. (١٨٢١) : حدّثنا قتيبة بن سعيد ، حدّثنا جرير عن حصين ، عن جابر بن سمرة ، قال : سمعت النبي (صلّى الله عليه وآله) يقول : ح وحدّثنا رفاعة بن الهيثم الواسطي (واللفظ له) حدّثنا خالد) يعني ابن عبد الله الطحّان) عن حصين ، عن جابر بن سمرة ، قال : دخلت مع أبي على النبي (صلّى الله عليه وآله) فسمعته يقول) : **إنّما هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فهيم اثنا عشر خليفة** (قال : ثم تكلّم بكلام خفي عليّ ، قال فقلتُ لأبي : ما قال ؟ قال) : **كلّهم من قريش** . (

6. (...) : حدّثنا ابن أبي عمر ، حدّثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير ، عن جبار بن سمرة ، قال : سمعت النبي)صلّى الله عليه وآله) يقول) : **لا يزال أمر الناس**

ماضياً ما وَلِيَهُم اثنا عشر رجلاً (ثمّ تكلّم النبي (صلّى الله عليه وآله) بكلمة خَفِيَتْ عليّ ، فسألت أبي : ماذا قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ؟ فقال **) : كلّهم من قريش . (**

33. كتاب الأمارة : باب١ ، حديث (٦ .١٠ .)

: (...)وحدّثنا قتيبة بن سعيد ، حدّثنا أبو عوانة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة ، عن النبي (صلّى الله عليه وآله) . بهذا الحديث . ولم يذكر **)لا يزال أمر الناس ماضياً . (**

7. (...) : حدثنا هدّاب بن خالد الأزدي ، حدثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب قال : سمعت جابر بن سمرة يقول :سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول **) :لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة (** ، ثمّ قال كلمة لم أفهمها ، فقلتُ لأبي : ما قال ؟ فقال **) : كلّهم من قريش . (**

8. (...) : حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدّثنا أبو معاوية عن داود ، عن الشعبي ، عن جابر بن سمرة ، قال :قال النبي (صلّى الله عليه وآله) : **(لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى أثنى عشر خليفة** . (قال : ثمّ تكلّم بشيء لم أفهمه ، فقلتُ لأبي : ما قال ؟ **)كلّهم من قريش . (**

9. (...) : حدّثنا نصر بن علي الجهضمي ، حدّثنا يزيد بن زريع حدّثنا ابن عون ، ح وحدّثنا أحمد بن عثمان النوفلي (واللفظ له) حدّثنا أزهر ، حدّثنا ابن عون عن الشعبي ، عن جابر بن سمرة ، قال : انطلقت إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومعي أبي . فسمعته يقول) : **لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة (** ، فقال كلمة صمّنيها (8) الناس . فقلت لأبي : ما قال ؟ قال) : **كلّهم من قريش . (**

10. (١٨٢٢) : حدّثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة . قالا : حدّثنا حاتم (وهو ابن إسماعيل) عن المهاجر بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، قال : كتبتُ إلى جابر بن سمرة ، مع غلامي نافع : أنْ أخبرني بشيء سمعتَه من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال :فكتب إليّ : سمعتُ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، يوم

جمعة ، عشيّة رجم الأسلمي ، يقول) : **لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة ، كلّهم من قريش** (، وسمعته يقول) :**عُصَيْبَة** (9) **من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض** . (

وهذا الحديث المعتبر السند نص في إمامة اثني عشر شخصاً بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فمَن هم ؟ وهل ذُكرت أسماء معيّنة بهذا الصدد لأشخاص ؟ نعم ، ذُكرت الأسماء المباركة للائمّة الاثني عشر وهم :

1. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .
2. الحسن بن علي .
3. الحسين بن علي .
4. علي بن الحسين .
5. محمّد بن علي .
6. جعفر بن محمّد .
7. موسى بن جعفر .
8. علي بن موسى .
9. محمّد بن علي .
10. علي بن محمّد .
11. الحسن بن علي .
12. الحجّة المهدي المنتظر بن الحسن . عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

هؤلاء هم الأئمّة الذين اعتقدنا بهم وبإمامتهم ولم يدّعِ أحد إمامة شرعيّة منصوصة من قِبل الله عزّ وجلّ . لغيرهم ، فتعيّنت فيهم (عليهم السلام) . روتْ كتب الصحاح عن

رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قوله) : **إنّي مُخلّف فيكم الثَقْلَين ، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي** . (لاحظ أنّه (صلّى الله عليه وآله) جعل أهل بيته عِدلاً للكتاب ، ولم يجعل غيرهم . يكفي هذا والتفصيل في الكتب المطوّلة .

---

*اقتباس من كتاب : (بعض المسائل الخلافيّة المعروفة) للسيّد عبد الله العلوي .

1- سورة البقرة : الآية : ٣٠ .

2- سورة ص : الآية : ٢٦ .

3- سورة البقرة : الآية : ١٢٤ .

4- سورة السجدة : الآية : ٢٤ .

5- سورة المائدة : الآية : ٥٥ .

6- سورة النساء : الآية : ٦١ .

7- سورة طه : الآية : ٣٦ .

8. صمّنيها : أي أصمّوني عنها فلم أسمْعها لكثرة الكلام . قال في المصباح : لا يستعمل الثلاثي متعدّياً . ونقل ابن الأثير ، في النهاية ، الحديث هكذا : أصمّنيها الناس أي شغلوني عن سماعها ، فكأنّهم جعلوني أصم .

9- عصيبة : تصغير عصبة ، وهي الجماعة ، أي جماعة قليلة من المسلمين .